الرحيل عن مدن الهزائم

وقصص اخرى

خالد محمد غازي

الكتاب : الرحيل عن مدن الهزائم (قصص)

الكاتب : خالد محمد غازي

الطبعة : الرابعة ٢٠١٥

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

غازي، محمد ، خالد

الرحيل عن مدن الهزائم – خالد محمد غازي – الجيزة – وكالة الصحافة العربية

ص ، ١٨ سم .

تدمك : ٥– ٢٦ – ٥٧٧٢ – ٩٧٧

أ. العنوان رقم الإيداع / ٧٨٠٠ / ١٩٩٩

الرحيل عن مدن الهزائم

إهداء :

إلى ضحى ..
الحقيقة والرمز

المؤلف

أقوال :

– ليس هذا عدم قدرة على الكلام ، بل عجز عن إمساك اللسان .

" إيبخارموس "

– إذا تم العقل نقص الكلام .

"الإمام علي بن أبي طالب "

– ملكت نفسي منذ هجرت طمعي

"اليأس حر ، والرجاء عبد

"مهيار الديلمي "

– أعطوني فقط نقطة ثابتة أقف عليها وأنا أحرك الأرض

" أرشيميدس "

– حكمت تلك التي تقول أننا لا يمكن أن تشعر بالحب نحو أي إنسان، إذا لم تكن نعرف أننا نستطيع أن نسخر منه أو نضحك عليه في وقت لأو في آخر .

" أجنش ربليار "

– لا أعلم شيئا أزيد في السيئة من استصغارها ، ولا أحبط للحسنة من العجب بها

" الجاحظ "

الليل والحلم

وحيداً ..

خرجت ، أبحث عن كوة مجهولة من نور .. توقي يسابقني إليها .. عيون خلاني ترقبني .. أسمع صوت أبي يدعو لي بأن أرجع سالما ، غانما .. القطار ينطلق ، صوت أمي يعلو فوق كل الضوضاء، وهي تودعني على رصيف المحطة وتحذرني وتنصحني .

قرأت كثيرا .. وغامرت كثيرا .. وأحببت فتيات كثيرات ، منهن من أحبتني وضحت بأشياء غالية من أجلي ، ومنهن من قاومت مشاعرها ، فعرفت آلام الفشل .. ألم تجرب مرة في حياتك أن تكون محبا ولا تكون محبوبا !

أتسلق الجبال .. أعبر المحيطات .. قال لي صديقي :

– إنك تذكرني بالسندباد .. ابتسمت .. كبر حلمي بداخلي .. نفسي مازالت تضم جمر الشوق إلى كوة النور .. أقف أمام مطعم يسيل لعابي .. أقاوم الجوع والعطش .. أذهب إلى بائع الكتب "القديمة" .. عم "حسين" الضرير ، أشتري كتابا ، أنهل ما فيه ..

يزيد توقي ، أتحسس جيبي ، عازما شراء كتاب جديد .. لكن ما معي لا يكفي لشراء كتاب جديد ! أعيد قراءة الكتاب الذي بين يدي مرات ومرات !!

أنا فارسك الأخير .. الذي يحلم بتحقيق المستحيل.. أعدك بفستان أبيض أنيق ، إذا نشرت كتابي الأول ، وسأشتري لك حذاءً وحقيبة يد .

عندما ذهبت إلى مدير إحدى دور النشر عارضا عليه كتابي ، مط شفتيه وقال : لا أغامر بالنشر لكاتب جديد.

عندما ذهبت إلى ناشر آخر قال : نحن ننشر لكبار الكتاب فقط ، وذهبت لثالث ورابع وخامس ..

هل هي مؤامرة عليّ .. لكن ممن ؟

ذهبت إلى غرفة أحد أصدقائي فوق السطوح ، كنا نجتمع عنده ، دائما نتحدث في الأدب والنقد والسياسة وأمور كثيرة ، لكن مجموعتنا تلك تفرقت .. منهم من اشتغل بالتجارة ، ومنهم من سافر إلى بلاد النفط ومنهم من تزوج وأنجب ، فنسي صداقتنا وسط همّ مشاكله .

المهم . عندما جلست مع صديقي الذي كانت حجرته تجمعنا، شعرت أنه تغير ، لا أدري كيف أو لماذا ؟ لم أتكلم عن همومي ، وصديقي لم يبث إليّ همومه أيضا ، لا أدري لماذا ؟

طرق الباب .. قام صديقي وفتحه وهو يبتسم ابتسامة عريضة .. عندما دخلت سبقها عطرها الصارخ ، قبّلها ، احتضنها أمامي .. رنت ضحكتها .. أيقنت أنها معشوقته .. ابتسمت لي .. وأومأت ايماءة لم أفهم معناها حتى الآن !! قلت في نفسي "يجب أن أودعهما" .. وأنا نازل أيقنت لماذا صديقي تغير وعرفت لماذا لم يبث إليّ همومه كعادته ؟!!

وحيداً ..

أسير في الطريق .. لا أدري كم الساعة ؟ لكن ما أدريه أننا في وقت متأخر من الليل .. الزمن يمضي خاطفا معه العمر ، أوراق الشجر تطير فوق الأسفلت .. الهموم تكبر ، وهل أظل صامتا كحجر في قاع بركة ؟ صور كثيرة ، لا أدري كيف أتت إلى ذهني ؟ لسعتني نسمة باردة ، لا أسمع سوى وقع خطواتي المتعبة .. أبصر الوجوه الكريهة وهي تسبني ، لأني أزحت القناع عن زيفها. رفضت المساومة ، قالوا : هذا مقابل النجاح، صرخت بعزة: لا .. خوفي انسل من صدري كقطة جائعة ، انسلت تبحث عن مأوى .. لقد وقفت على عريكم ، البذرة الفاسدة لا مكان لها في نفسي ، ما يحزنني أن الأتقياء مازالوا مفطورين بالصمت ، فيبدو الحلو في مرارة العلقم !! أرهقتنا المحطات ، يقولون : ليس أمام السجين إلا قيده ، الحزن والخوف يلونان وجوه الناس ، يقولون كلاما سخيفا بلا معنى ..

انتبهت ..

أجساد كثيرة تمر .. بلعت ريقي .. أشعر برغبة في القيئ .. إلى متى نظل نعجن الوحل ، ونتوهم أننا نستطيع أن نصنع منه مملكة .. إلى أين يسير هؤلاء .. إنهم يسيرون في اتجاه خاطئ . وأواصل المسير..

وصلتني رسالة من أبي اليوم : "ياولدي .. احذر فخطوتك مراقبة ، أنت تحمل اغتيالك" ..

يا أبت .. خطوتي آثارها واضحة ، لا أستطيع أن أنحني لأمحوها ، فالنخل لا ينحني !!

مولاتي ..

يامن تعلمين أنك نصيري وملاذي في مدن النوم .. أنا لا نصير لي ولا ملاذ لي إلاك . يامن تطلعين على ضعفي وأنا مطارد . انصريني .. فالمدينة تطاردني بعد أن ضبطها في أحضان المرتشين والمنافقين .

تحسست رسالتها التي في جيبي .. وصلتني اليوم .. ما بالي أتذكرها الآن وهي ترفع رأسها إليّ بين حين وآخر ، ألمح في عينيها الخوف .. يكسو جبينها الحزن .. يخيل إليّ أنها تبكي كثيرا قبل لقائي وبعد لقائي ، اللقاء مجد والفراق خوف .. صورتها تشع في ذاكرتي إشعاع الماس في الظلام الدامس .. طفلتنا التي حلمنا بها تجمعنا .. نضمها لصدورنا .. نتوحد ثلاثتنا .

أخاف أن يأتي الوقت الذي أودعكما فيه !!

ترى هل تذكريني الآن ؟!

ذكراك تجذبني نحو السماء .. صدقني ولا تلمني واقبلني على سجيتي !

أقف أنظر للأفق .. الدنيا غارقة في عتمة .. يخيل إليّ أنه يفتتها نور نائس ، آه من نسمة الفجر .

مولاتي ..

مازلت أتخيل فيك صمود المصلحين وإيمان الأنبياء ورقة الرومانسيين .. حزين .. وأنت تدرين سبب حزني .

أطلب – الآن – منك الرأي .. السبل أمامي اشتبكت والرؤى غيمت، والفكر ارتبك تمنيت أن أخطئ فأفوز بغضبك عليّ ، فأتوب بين يديك .

تمنيت أن أذنب ، لأجد بين شفتيك كلمات التسامح ، وفي صدرك فيض الغفران .. دعيني أصارحك بسر خطير :

– إنني أناني لدرجة أني أخاف فقدك .

حرفان ..

هربا ..

تواجها ..

التحما ..

حاء .. باء ..

جلست مع أصدقائي على المقهى .. نشرب القهوة وندخن .. قال صديقي الشاعر الجالس على يميني : إن ما تبحث عنه وجوده مدمر .. إنه إمبراطور .. طاغية .. أشبه بهتلر أو نيرون !

حاء .. باء ..

تعبت من أوامر قائدك الذي يأمرني :

– تقدم للأمام .. تقدم للأمام ..

دخلت معارك كثيرة معه .. لكنني الآن ، أرفع راية التسليم ، بلا قيد ولا شرط .. فاحرسيني وضميني إلى جنودك .. فمفتاح عمري بين يديك ، فادخليه في سلام .

قال صديقي الجالس على يساري : أنت مجنون كبير .. تضيع عمرك في الامساك بالسراب .

كانت ليلة شتائية .. غزيرة المطر .. حينما لمست يدي يدها عفوا ، انتفضت كعصفور بلله المطر .. انتابتها موجة من رفض لا شعوري ، صرخت دون وعي : لا .. حزنت .. صمت .. التمعت عيناها ، أخذتها في داخلي ، وبكيت بلا دموع . لقد خافت من الخوف ، لكنها هربت مني إليّ !!

أحسست – رغم فراقنا – أنها في حاجة لأن تبكي .. وأنها كتمثال من الشمع يذوب تحت وطأة الحزن .. وتنتفض في رأسها كل المشاعر المطمورة .. أملها الصاهل الذي توغل في ضلوعها .

قال صديقي الجالس في مواجهتي : العجز أن تنتظر العطاء .

مازلت تنتظرين الفستان الأبيض الذي وعدتك به ، ومازال مجيئ الفستان مشروطا بتحقيق حلم مضطهد .

– لكني أراك تغارين من الكتب والنساء .. خبريني لماذا ؟

تمتمت .. هزت رأسها ..

– لا .. أنا لا أغار ..

ضميني إلى حنان صدرك الدافئ .. ناديني .. ناجيني ، صوتك الرخم يشعر المرء أنه جزء منه .. تسبيحاتك تشعرني بالتقوى.

تستوضحني في كثير من معاني الأبيات التي أنشدها.. قالت:

– مازلت تخفي عني أشياء كثيرة .

– لا أريد أن أكون مشتعلة في صدرك .. آلام ساخنة .. تنفعل .. تتهدج ..

– لماذا تهرب ؟

– هل أنا في حالة حب أم في حالة تأزم ؟ يكفي أن تكونين مطرا دافئا وشمسا حنونا .. وصحوا لذيذا ..

– تحدث .. ليكن حديثك معي نوعا من المناجاة الذاتية أو طرح استفهامات .. هيا استرجع

معي ما حدث وقل لي ما يشغلك ؟

تشير إليّ بسبابتها .. يتوهج خداها باحمرار بلون الدم الطازج ..

تقول : أنت كل الاخلاص !

حاء .. باء ..

منك سأبدأ .. لن أراود الصمت بعد اليوم .. الأصابع تتلاقى .. تتعانق .. تلتحم ..

وحيدا ..

مازلت أواصل السير .. شعرت ببرودة أطرافي .. أتاني المتنبي .. صافحني .. والمعتصم جاء وشد أزري والمعتز بالله هنأني .. هارون الرشيد ابتسم لي عندئذ ..

١٩٨٩/ ٣/ ٣

الفهرس

الليل والحلم	٧
قالت : أذكرني	١٥
نزيف الصمت	٢٥
في الزحام	٣٣
لأني أحبك	٣٩
ضحى	٤٣
قرار	٥٥
هل حدث هذا ؟ ربما	٥٩
إنتظار	٦٥
أشواق	٧٧
البحث عن شئ ضائع	٨١
وداعاً	٨٥
محاولة	٨٩
الحزن يرحل عند المفترق	٩٧
ما حدث في المقابر	١٠٣
احزان حارتنا القديمة	١٠٩
الرحيل عن مدن الهزائم	١١٣
العزف علي ايقاع الحزن	١١٩